لَا بِـقَـوْمِـي شَـرُفْـتُ بَـلْ شَـرُفُـوا بِـي
وَبِـنَـفْـسِـي فَـخَـرْتُ لا بِـجُـدُودِي[١]
وَبِـهِـمْ فَـخْـرُ كـلِّ مَـنْ نَـطَـقَ الـضَّـا
دَ وَعَـوْذُ ٱلْـجَـانـي وَغَـوْثُ الـطَّـرِيـدِ[٢]
إِنْ أَكُـنْ مُـعْـجَـبـاً فَـعُـجْـبُ عَـجِـيـبٍ
لَـمْ يَـجِـدْ فَـوْقَ نَـفْـسِـهِ مِـنْ مَـزِيـدِ[٣]
أَنَـا تِـرْبُ الـنَّـدَى وَرَبُّ الْـقَـوَافِـي
وَسِـمَـامُ الْـعِـدَا وَغَـيْـظُ الْـحَـسُـودِ[٤]
أَنَـا فِـي أُمَّـةٍ تَـدَارَكَـهَـا الـلَّـ
ـهُ غَـرِيـبٌ كَـصَـالِـحٍ فِـي ثَـمُـودِ[٥]

الخلائق الشريفة

وأرسل إليه جامَة فيها حلوى فردها وكتب فيها بالزعفران: [الكامل]

أَقْـصِـرْ فَـلَـسْـتَ بِـزائِـدِي وُدَّا
بَـلَـغَ الـمَـدَى وَتَـجَـاوَزَ الْـحَـدَّا[٦]
أَرْسَـلْـتَـهَـا مَـمْـلُـوءَةً كَـرَمـاً
فَـرَدَدْتُـهَـا مَـمْـلُـوءَةً حَـمْـدَا[٧]

---

(١) و (٢) إن الشاعر لا يهتمّ بميراث الأمجاد لجدوده، بل إنه يعتبر نفسه مصدر اعتزازهم، لذا فإنه يفخر بنفسه. وهم مصدر فخر العرب، وإليهم يلجأ كلّ من كان بحاجة للحماية حتى الجُناة، فإنهم يأمنون على أنفسهم من عثرات الزمن، وكذلك المشرّدون بهم يستغيثون وإليهم يرجعون لمساعدتهم.

(٣) ومن مغالاة الشاعر أنه شديد الإعجاب بنفسه، والناس يُعجبون به لأنه مصدر الإعجاب، وهو يعلو على سائر البشر.

(٤) ترب الندى: أي أنه ولد مع الكرم. الندى: الكرم. سِمام، الواحد سمّ: يُحدّد الشاعر صفاته؛ إنه كريم وُلد توأماً للندى، وهو شاعر مفلّق مبدع، وكذلك هو سمّ زُعاف قاتل لأعدائه، والحسود يموت غيظاً منه.

(٥) تداركها اللّه: سارع إلى رحمتها ورعايتها. يرى الشاعر نفسه منقِذاً لأمته خلقه اللّه تعالى رحمة لها، كما أرسل صالحاً النبيّ لهداية بني قومه ثمود.

(٦) و (٧) أقصر: توقّف عن القيام بعمل ما مع القدرة عليه. الودّ: الحبّ والصداقة. =

جَـاءَتْـكَ تَـطْـفَـحُ وَهْـيَ فَـارِغَـةٌ
مَـشْـنَـى بِـهِ وَتَـظُـنُّـهَـا فَـرْدَا[١]
تَـأْبَـى خَـلَائِـقُـكَ الَّـتِـي شَـرُفَـتْ
أَنْ لَا تَـجِـنَّ وتَـذْكُـرَ الْـعَـهْـدَا[٢]
لَـوْ كُـنْـتَ عَـصْـراً مُـنْـبِـتـاً زَهَـراً
كُـنْـتَ الـرَّبِـيـعَ وَكَـانَـتِ الْـوَرْدَا[٣]

قواف كالمرقد

نام أبو بكر الطائي وهو ينشد، فقال:

[الكامل]

إنَّ الـقَـوَافِـيَ لـم تُـنِـمْـكَ وإنَّـمـا
مَـحَـقَـتْـكَ حَـتَّـى صِـرْتَ مـا لا يُـوجَـدُ[٤]
فَـكَـأنَّ أُذْنَـكَ فُـوكَ حِـيـنَ سَـمِـعْـتَـهَـا
وكـأنَّـهَـا مِـمَّـا سَـكِـرْتَ الـمُـرْقِـدُ[٥]

= يطلب الشاعر من ممدوحه الكفّ عن إرسال الهدايا، فحبّه ملك عليه وجدانه، وهو يُجاريه على ذلك آيات من الحمد والشكر التي كتبها تعبيراً عمَّا يكنّه له من صدق المشاعر.

(١) و (٢) تطفح: تمتلئ. كان ردّ الشاعر تعبيراً عن عرفان، فرغم فراغ الجامة، فقد امتلأت على جوانبها شعراً خالداً، إذ بها شيئان رغم فراغ ما فيها من قبل الممدوح؛ ومن صفات الممدوح أنه لا ينسى العهود.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٦٣. العصر: الدهر. يُخاطب الشاعر ممدوحه بأنه لو كان زمان ينبت الزهر، فهو ربيع وأخلاقه ورد ينشر عبيره في الآفاق.

(٤) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ٢: ١٢٤. من مماحكات المتنبي مع بعض الشعراء المعاصرين له هذان البيتان؛ فهو ينعى على أبي بكر الطائي نومه؛ فلم يكن شعره سبب نومه، بل حسده للمتنبي حمله على النوم، فكان أن سحقه وأبطل وجوده فبات عدماً.

(٥) المُرْقد: المنوّم. يُشبّه الشاعر بمنوّم، لذا ما إن سمعه أبو بكر حتى راح يغطّ في نومه كأنه شرب دواءً منوّماً.